@ 563 @ لكم شدة الزنا وفظاعته ، وفظاعة القذف به ، وأن شرع التوبة من هذه الكبائر وغيرها . ^ (إن الذين جآءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم * لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا ه ذآ إفك مبين * لولا جآءوا عليه بأربعة شهدآء فإذ لم يأتوا بالشهدآء فأول ئك عند ا هم الكاذبون * ولولا فضل ا عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في مآ أفضتم فيه عذاب عظيم * إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند ا عظيم * ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنآ أن نتكلم به ذا سبحانك ه ذا بهتان عظيم * يعظكم ا أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين * ويبين ا لكم الآيات وا عليم حكيم * إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة وا يعلم وأنتم لا تعلمون * ولولا فضل ا عليكم ورحمته وأن ا رءوف رحيم * يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشآء والمنكر ولولا فضل ا عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا ول كن ا يزكي من يشآء وا سميع عليم * ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل ا وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر ا لكم وا غفور رحيم * إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم * يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون * يومئذ يوفيهم ا دينهم الحق ويعلمون أن ا هو الحق المبين * الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أول ئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم) ^ لما ذكر فيما تقدم تعظيم ، الرمي بالزنا عموما ، صار ذلك كأنه مقدمة لهذه القصة ، التي وقعت على أشرف النساء ، أم المؤمنين رضي ا عنها ، وهذه الآيات ، نزلت في قصة الإفك المشهورة ، الثابتة في الصحاح والسنن والمسانيد . وحاصلها أن النبي صلى ا عليه وسلم ، في بعض غزواته ، ومعه زوجته عائشة الصديقة ، بنت الصديق . فانقطع عقدها فانحبست في طلبه ورحلوا جملها وهودجها ، فلم يفقدوها ثم استقل الجيش راحلا ، وجاءت مكانهم ، وعلمت أنهم إذا فقدوها ، رجعوا إليها فاستمروا في مسيرهم . وكان صفوان بن المعطل السلمي ، من أفاضل الصحابة رضي ا عنه ، قد عرس في أخريات القوم ، ونام ، فرأى عائشة رضي ا عنها ، فعرفها ، فأناخ راحلته ، فركبتها من دون أن يكلمها أو تكلمه ، ثم جاء يقود بها ، بعد ما نزل الجيش في الظهيرة . فلما رأى بعض المنافقين ، الذين في صحبة

النبي صلى ا عليه وسلم ، في ذلك السفر ، مجيء ، صفوان بها في هذه الحال أشاع ما أشاع ، وفشا الحديث ، وتلقفته الألسن ، حتى اغتر بذلك بعض المؤمنين ، وصاروا يتناقلون هذا الكلام ، وانحبس الوحي مدة طويلة عن الرسول صلى ا عليه وسلم . وبلغ الخبر عائشة بعد ذلك بمدة ، فحزنت حزنا شديدا ، فأنزل ا براءتها في هذه الآيات . ووعظ ا المؤمنين ، وأعظم ذلك ، ووصاهم بالوصايا النافعة . فقوله تعالى : ! 2 2 ! أي : الكذب الشنيع ، وهو رمي أم المؤمنين ! 2 2 ! أي : جماعة منتسبون إليكم يا معشر المؤمنين ، منهم المؤمن الصادق في إيمانه ، لكنه اغتر بترويج المنافقين ، ومنهم المنافق . ^ (ولا تحسبوه شرا لكم بل خير لكم) ^ لما تضمن ذلك من تبرئة أم المؤمنين ونزاهتها ، والتنويه بذكرها ، حتى تناول عموم المدح سائر زوجات النبي صلى ا عليه وسلم . ولما تضمن من بيان الآيات المضطر إليها العباد ، التي ما زال العمل بها إلى يوم القيامة فكل هذا خير عظيم ، لولا مقالة أهل الإفك لم يحصل ذلك . وإذا أراد ا أمرا جعل له سببا ، ولذلك جعل الخطاب عاما مع المؤمنين كلهم . وأخبر أن قدح بعضهم ببعض ، كقدح في أنفسهم . ففيه أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، واجتماعهم على مصالحهم ، كالجسد الواحد ، والمؤمن للمؤمن ، كالبنيان يشد بعضه بعضا . فكما أنه يكره أن يقدح أحد في عرضه ، فليكره من كل أحد ، أن يقدح في أخيه المؤمن ، الذي بمنزلة نفسه ، وما لم يصل العبد إلى هذه الحالة ، فإنه من نقص إيمانه ، وعدم نصحه . ! 2 2 ! وهذا وعيد للذين جاؤوا بالإفك ، وأنهم سيعاقبون على ما قالوا من ذلك ، وقد حد النبي صلى ا عليه وسلم منهم جماعة . ! 2 ! 2 أي : معظم الإفك ، وهو المنافق الخبيث ، عبد ا بن أبي ابن سلول ، لعنه ا ! 2 2 ! ألا وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار . ثم أرشد ا عباده عند سماع مثل هذا الكلام فقال : 2 ! 2 ! أي : ظن المؤمنون بعضهم ببعض خيرا ، وهو السلام مما رموا به ، وأن ما معهم من الإيمان المعلوم ، يدفع ما قيل فيهم من الإفك الباطل . ! 2 2 ! بسبب ذلك الظن ! 2 ! 2 أي : تنزيها لك من كل سوء ، وعن أن تبتلي أصفياءك بالأمور الشنيعة . ! 2 2 ! أي : كذب وبهت ، من أعظم الأشياء ، وأبينها . فهذا من الظن الواجب ، حين سماع المؤمن عن أخيه المؤمن ، مثل هذا الكلام ، أن يبرئه بلسانه ، ويكذب القائل لذلك . ^ (لولا جائوا عليه بأربعة شهداء) ^ أي : هلا جاء الرامون على ما رموا به ، بأربعة شهداء أي : عدول مرضيين . ^ (فإذ لم يؤتوا بالشهداء فأولئك عند ا هم الكاذبون) ^ وإن كانوا في أنفسهم قد تيقنوا ذلك ، فإنهم كاذبون في حكم ا ، لأنه حرم عليهم التكلم بذلك ، من دون أربعة شهود ، ولهذا قال : ! 2 2 ! ، ولم يقل (فأولئك هم الكاذبون) . وهذا كله ، من تعظيم حرمة عرض المسلم ، بحيث لا يجوز الإقدام على رميه ، من دون نصاب الشهادة بالصدق . ! 2 ! 2 بحيث شملكم إحسانه فيهما ، في أمر دينكم ودنياكم . ! 2 2 ! أي : خضتم ! 2 2 ! من شأن

الإفك ! 2 2 ! لاستحقاقكم ذلك بما قلتم . ولكن من فضل ا عليكم ورحمته ، أن